

## أضواء البيان

. @ 537

فالضحى وحده آية وهو حرها كقوله : { وَأَنزَّلْنَا لَآ تَظْمَأُوا فِيهَا وَلَا تَضْحَى } ،  
أي بحرّ الشمس ، وقد أقسم تعالى بالضحى وحده في قوله تعالى : { وَالضُّحَى \*  
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } . .

وقوله : { وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا } ، فهو كذلك القمر وحده آية ، وكذلك تلوه للشمس  
ونظام مسيره بهذه الدقة ، وهذا النظام فلا يسبقها ولا تفوته : { لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي  
لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ  
يَسْبَحُونَ } . .

وفي قوله تعالى : { إِذَا تَلَاهَا } ، أي تلا الشمس ، دلالة على سير الجميع ، وأنها  
سابقته وهو تاليها . .

ف قيل : تاليها عند أول الشهر تغرب ، ويظهر من مكان غروبها . .  
وقد قال بعض أهل الهيئة : تاليها في منزلة الحجم ، أي كبرى وهو كبير بعدها في الحجم ،  
وفيه نظر . .

ولا يخفى ما في القمر من فوائد للخليفة ، من تخفيف ظلمة الليل ، وكذلك بعض الخصائص على  
الزرع ، وأهم خصائصه بيان الشهور بتقسيم السنة ومعرفة العبادات من صوم ، وحج ، وزكاة ،  
وعدد النساء ، وكفارات بصوم ، وحلول الديون ، وشروط المعاملات ، وكل ما له صلة بالحساب  
في عبادة أو معاملة . .

وقد جاء القسم بالقمر في المدثر في قوله : { كَلَّا وَالْقَمَرَ \* وَاللَّيْلِ إِذَا  
أَدْبَرَ } ، وقوله : { وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ } ، مما يدل على عظم آيته ودقة  
دلالة . .

وقوله : { وَالنَّهَارَ إِذَا جَـلَّاهَا } ، والنهار هو أثر من آثار ضوء الشمس . .  
وجلاها . قيل : الضمير فيه راجع للشمس كما في الذي قبله ، ولكن اختار ابن كثير أن  
يكون راجعاً للأرض ، أي كشفها وأوضح كل ما فيها ليتيسر طلب المعاش والسعي ، كقوله : {  
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا } ،  
وقوله : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَسَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا  
وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا } .